تمييز الدعوة في الحياة المسيحية (١)

أولا: النِّداءات[١]

أ) نداءات الله

في خطّة الله الّذي يقود كلّ الأشياء إلى الغاية، وخاصّةً الإنسان بطريقة حُرَّة، هُناك **نداءات أو دعوات مختلفة**. «إنَّ كلمة *دعوة* تصف بطريقة جيّدة جدًّا علاقة الله بكلِّ كائنٍ بشريٍّ في حرِّيَّة الحبّ، ذلك لأنَّ ‹كلَّ حياةٍ هي دعوة›»[٢].

النّداءات الرَّئيسيّة ثلاثة، وهي:

- **النّداء إلى الكينونة**، للوجود. وهو مُشترَك بيننا وبين كلّ ما هو موجود: العصافير والنّباتات والكواكب والزّهور والأسماك والنّجوم... إلخ. هذا النّداء يُمثّل الخطوة من عدم الوجود إلى الكينونة.
- **النّداء إلى القداسة**، إلى الحياة الأبديّة. وهو مُشترَك بيننا وبين جميع البشر، لأنَّ *«الله... يريد أن يَخلُص جميعُ البشر وأن يأتوا إلى معرفة الحقّ»* (١ تيم ٢/٤). هذا النّداء يمثّل الخطوة من الخطيئة إلى النّعمة.
- **النّداء إلى حالة حياةٍ**، وبه يَدعو بعضًا إلى الزّواج وآخرين إلى الحياة المكرّسة. هذا النّداء هو بِمثابة الخطوة إلى حياة الكمال.

يقول يوحنا بولس الثاني في هذا الشَّأن: «مع مُجمَل هذه العطايا المتناسقة، يُوكَل إلى كلِّ واحدة من حالات الحياة الأساسيّة، كلٍّ على حِدة بحسب فئتها الخاصّة، إظهارُ هذا البُعد أو ذاك من أبعاد السّرِّ الأوحد لِلمسيح»[٣].

ب) النّداءات إلى الحياة المكرَّسة

إلى الآن هناك خَمسُ دعوات إلى الحياة المكرَّسة[٤]، وهي:

- الدّعوة إلى الكهنوت،
- الدّعوة إلى الشّمّاسيّة المُستديمة،
- الدّعوة الرُّهبانيّة،
- الدّعوة الإرساليّة،
- الدّعوة إلى الحالة العِلمانيّة المكرَّسة.

---

[١] الموضوع من دليل الدعوات لرهبنة الكلمة المتجسد

[٢] **يوحنا بولس الثاني**، «رسالة لليوم العالمي الثامن والثلاثين للصّلاة لأجل الدَّعوات» (٢٠٠١) ١.

[٣] **يوحنا بولس الثاني**، الإرشاد الرّسوليّ: «الحياة المكرّسة» (Vita consacrata، ح م – **VC**) (١٩٩٦) ٣٢.

[٤] راجع: تطوير العمل الرّعويّ الخاص بالدّعوات في الكنائس الخاصّة، «الوثيقة الختاميّة» المؤتمر الدّولي الثاني لأساقفة و مسؤولين آخرين عن الدّعوات الخِدْمِيّة في الكنيسة (١٩٨١) رقم ٣٢-٣٦.

ثانيًا: النّداء بِحدِّ ذاتِهِ

أ) طبيعة الدّعوة المُكرَّسة

هناك عُنصران أساسيّان للحياة المكرَّسة، هما:

أولا: نداء الله

وثانيًا: نداء الكنيسة

ب) الله يدعو

أن يدعو الله إلى دعوة مُحدَّدة، فذاك معروف من أمثلة لا حصرَ لها في الكتاب المقدّس، مثل دعوة شعب الله، ودعوة إبراهيم، وموسى وداود وأرميا وأشعيا وهوشع، ...إلخ؛ وفي العهد الجديد نجد تلك الّتي لِيسوع ولِكلٍّ من التّلاميذ الأوائل ولِمَتَّى اللاوي، وللاثني عشر رسولا وللشّابّ الغنيّ وللقدِّيس بولس وللعذراء مريم، ...إلخ. لقد قال: «*لستم أنتم اخترتموني، بل أنا الّذي اخترتكم*» (يو ١٥/١٦).

أ- «هذا هو معنى الدّعوة للحياة المكرَّسة: إنَّها مُبادرة بِكاملها من الآب (راجع يو ١٥/١٦)، تتطلّب من أولئك الّذين اختارهم ردًّا يتمثَّل في تسليمٍ كامل وحصريّ... عليه أن يُجيب بتسليمٍ غير مشروطٍ لحياته، مُكرِّسًا كلَّ شيء، الحاضر والمستقبل، بين يديه... بطريقةٍ كاملة... يمكن مقارنتها بِذبيحة قُربانيّة»[٥].

«الذين يشعرون في قلبهم بالرّغبة فب اعتناق حالة الكمال والقداسة هذه، يمكنهم أن يصدِّقوا، بدون أدنى شكٍّ، أنَّ هذه الرّغبة تأتي من السّماء، لأنَّها كريمة لِلغاية وتسمو بكثير على أحاسيس الطَّبيعة»، كما يقول القدّيس يوحنا بوسكو[٦].

«إنَّه يدعو تلاميذَ جُدُدًا باستمرارٍ، رجالا ونساءً، لكيْ يوصّل لهم، بواسطة إفاضة الرّوح (راجع روم ٥/٥)، الأغابي الإلهيّ، أيْ طريقة حبِّه، دافعًا إيّاهم إلى خدمة الآخرين بتسليمٍ متواضع لذواتهم، بعيدًا عن أيّ حسابٍ للمصالح»[٧].

ج) الكنيسة تدعو

«الدّعوة الإلهيَّة ينبغي لها أن تنال تأكيدًا وقَبولا وقيادة رسميّة من قِبَل السُّلطة الكنسيّة العُليا؛ وهي الّتي يوكِل إليها الله نفسُهُ حُكم الكنيسة»[٨]، بطريقةٍ لا تسمح لأيّ فردٍ أن يشعر بأنَّه مدعوٌّ بطريقة نهائيّة – برغم المواهب الّتي قد يتحلَّى بها والنيَّة الصّالحة – إلا إذا كانت الكنيسة تدعوه.

د) الأهليَّة

هناك عنصر ثالث هو **ناتجٌ** عن نداء الله، وفي الوقت ذاته هو **شرطٌ** لكيْ تدعو الكنيسة: ألا وهو الأهليَّة. الأهليَّة الّتي يجب أن تتوافر لدى المُترشِّح ينبغي أن تكون ثلاثيّة: **جسمانيّة** (ونفسانيّة)، و**عقليّة** و**أدبيّة** (فهي تتطلّب وجود نيّة مستقيمة)[٩]. إن لم تكن هناك أهلِيَّة فهذا دليل على أنَّ الله لا يدعو، وبالتَّالي فإنَّ الكنيسة لا يجب أن تدعو.

---

[٥] **يوحنا بولس الثاني**، ح م – VC، ١٧.

[٦] «الأعمال الرّئيسيّة» (مدريد ١٩٧٤) ٦٤٤.

[٧] **يوحنا بولس الثاني**، ح م – VC، ٧٥.

[٨] راجع «مَقارّ الحكمة» (Sedes Sapientiae، م ح – SS)، ١٣.

[٩] العلاقة المُمَيّزة بالأكثر، والّتي لا غنى عنها للدّعوة الكهنوتيّة هي «بلا أدنى شكٍّ: النِيّة المستقيمة، أي الإدارة الواضحة والمُصمِّمة على تكريس الذّات بالكامل لخدمة الرّبّ» (**بولس السادس**، «Summi Dei Verbum»، ٢٣).

ه) انتقاء المُرشَّح

السّلطة الكنسيّة لا تملك فقط الحقَّ ولكن أيضًا **الواجب** في استخدام كل الوسائل الضَّروريّة لمعرفة أهليّة المرشّح، فتتمكَّن هكذا من القيام بانتقاءٍ محدَّدِ المَعايير. لذلك نجد أنَّ قانون الحقّ الكنسيّ ينصّ على أنّ السّلطة المَنوط بها ذلك «عليها أن تضمن أنَّ المرشَّح يمتلك الصّفات الضروريّة لتلقّي الدَّرجة الخِدميّة، أي أن يكون لديه تقوى صادقة وعادات صالحة واستعداد لممارسة الخدمة؛ وعليها كذلك، بعد تَحَرٍّ مناسبٍ، أن تتأكَّد من حالته الصّحيّة الجسمانيّة والنفسانيّة»[١٠]. يجب اختبار «أهليّة المرشّح بطريقة إيجابيّة»[١١].

من هنا تأتي ضرورة أن تكون لدى الرّؤساء فطنة كبيرة في الحالات الّتي تحتوي على على شكوكٍ، وعليهم – بحسب تعليم البابا بيوس الحادي عشر – أن «يتمسَّكوا بالحلِّ الأكثر أمانًا، فهو الأفضل في مثل هذه الحالات بالنّسبة للشّباب، لأنَّه يُبعدهم عن طريق كان يمكنه أن يقودهم إلى إدانة أبديّة»[١٢].

نحن لدينا العادة أن نقوم بِالانتقاء خلال الفترة السّابقة لِدخول الابتداء، لِكَون الرّئيس الإقليمي هو المسؤول عن قبول المرشَّح من عدمه؛ بالإضافة إلى أنَّ مُعلِّم المبتدئين عليه أن يُتابع عمليّة الانتقاء خلال فترة الابتداء. قبل القبول في الرّتب المقدَّسة يجب أن يتمَّ انتقاءٌ **صارمٌ**؛ فإذا وُجد لدى الرّؤساء ولو مجرَّدُ شكٍّ بالإيجاب، أو حتَّى عدم معرفة بالمرشَّح، فينبغي إخبارُه بأنَّنا لا نرى أنَّه لديه دعوة للدّخول في رهبنتنا. ثمَّ يجب القيام بانتقاءٍ عند تلقّي التقارير المتعلِّقة بالرُّتب، خاصّةً رتبة نَوال الشّمّاسيّة ورتبة نَوال الكهنوت.

و) تعليم المجمع الفاتيكاني الثّاني

تُذكِّر وثائق المجمع الفاتيكاني الثّاني، حول الكهنة وحول التّكوين للكهنوت، بالتّعليم التّالي: «إنَّ راعي نفوسِنا وأُسقفَها قد أسّس كنيسته بطريقةٍ تُتيح لشعبه، الّذي اقتناه بدمه، أن يكون عنده دائمًا كهنته إلى نهاية العالم. ولِعلمهم بِإرادة المسيح هذه، تَيَقَّن الرُّسل، بإيحاءٍ من الرّوح القدس، أنَّ مِن واجبهم اختيار خُدَّامٍ مؤهَّلين لأن يُعلِّموا آخرين أيضًا (٢ تيم ٢/٢)... هكذا إذًا، على القساوسة أولا أن يلتزموا بتصميمٍ على أن يضعوا أمام أَعيُن المؤمنين، بواسطة خدمة الكلمة وبشهادة حياتهم الذَاتيّة، امتيازَ الكهنوت وضرورتَهُ؛ وأن يُساعدوا أولئك الشّباب أو البالغين الّذين يَرَوْنهم أهلًا لخدمة عظيمة كهذه، وذلك دون النّظر إلى أيّة تحفُّظاتٍ أو تضحياتٍ، على أن يستعدُّوا كما ينبغي»[١٣]. «إنَّ واجب تشجيع الدّعوات يَمسُّ الحياة المسيحيّة بِأكملها... فالعناية الإلهيَّة تُكلِّف مسؤولي الكنيسة الشّرعيّين – إذا ما تأكّدوا من أهليَّة المرشَّحين الّذين يتطلَّعون إلى خدمة سامية كهذه، بِنِيَّة مستقيمة وبكامل الحرّيّة – بأن يَدْعوا أولئك المرشحين، وبعد أن يعرفوهم جيّدًا أن يكرِّسوهم بخَتم الرّوح القدس لأجل إقامة العبادة لِلّه وخدمة الكنيسة»[١٤].

---

[١٠] **ق ح ك – CIC**، ق ١٠٥١، ١.

[١١] **ق ح ك – CIC**، ق ١٠٥٢، ١.

[١٢] «إلى الكهنة الكاثوليك» (Ad Catholici Sacerdotii)، ٦؛ راجع ١ تيم ٢٢/٥.

[١٣] «قرار حول خدمة الكهنة الرّعويّة» (Presbiterorum Ordinis)، **خ ك – PO**، ١١.

[١٤] «قرار حول التنشئة الكهنوتيّة» (Optatam Totius)، **ت ك – OT**، ٢.